

بوادر حركة الدعوة في صفوف المسلمات بإندونيسيا

إعداد: الدكتور/ أحمد أسري لوبيس (Ahmad Asri Lubis)
كلية اللغة العربية، جامعة سلطان الشريف على الإسلامية (UNISSA) بروناي دار السلام

(الحلقة الثالثة)

توطئة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبعه ووالاه، وبعد فهذه الحلقة الثالثة من سلسلة تاريخ الدعوة التي قام بها المسلمات بأرض إندونيسيا في القرن المنصرم؛ فقد تناولت الحلقة الأولى تاريخ دخول الإسلام إلى الجزر الإندونيسية، كما خصصت الحلقة الثانية لمناقشة وجهة نظر الإسلام حول المرأة المسلمة في حقل العمل الإسلامي. أما هذه الحلقة فتعالج بوادر حركة الدعوة في صفوف المسلمات الإندونيسيات، وهذه البوادر تعود إلى العامل الديني بظهور الحركة الإصلاحية بأرض الوطن، والتي قادها الزعماء الإصلاحيون، كما للعامل الاستعماري أيضا دور فعال لهذه البوادر الطيبة؛ لتأتي بعد ذلك في الحلقة التالية الجهود الفردية تمهيدا للمساعي الجماعية.

فكانت إندونيسيا – كما لا يخفى لدى العامة والخاصة – مستعمرة مدة ثلاثة قرون ونصف، وكانت ولاية «أتشي» Aceh التي تعد أسبق مناطق البلاد دخولا في الإسلام، آخر قلعة للمناضلين سقطت على أيدي الاستعمار الهولندي، وقد بلغ عدد الشهداء في مقاومة كفاح مسلمي هذه الولاية وحدها سبعين ألف شخص.¹

وكان سقوط «أتشي» عام 1905م، بعد سلسلة من المعارك دامت أحد عشر عاما وقد سجل كفاح أهل هذه الولاية المناضلة ضد الاستعمار كثيرا من الانتصارات البطولية، وفي مقدمتها ما صنعه «تينكو عمر» Teuku Umar الذي استشهد عام 1899م، فواصلت الكفاح بعد ذلك زوجه المناضلة «تشوت نيا دين Cut Nyak Dien» المعروفة بجهادها المستميت في حروب العصابات التي استمرت حوالي أربع سنوات انتهت باعقالها ونفيها، إنهاءً لحركة الجهاد المسلحة كليا، وستأتي ترجمة هذه السيدة فيما بعد في حينها.

¹ انظر مثلا: ملاحظات عن ندوة عقدت في ماليزيا حول الحضارات الإسلامية، ص 28.

ويُعدُّ غياب الوحدة في صفوف المسلمين، ولجوء الاستعمار إلى استخدام السياسة التفريقية، من أهم الأسباب التي مكنت هولندا من السيطرة على الشعب الإندونيسي، مع أنها تعد دولة صغيرة جدا بالمقارنة بإندونيسيا.

وبعد ما تمكن الاستعمار من السيطرة على كل أراضي الأرخيل في بداية القرن المنصرم، راجع الإندونيسيون حساباتهم الماضية – والمحاسبة الصادقة أوسع مدخل لكل الإصلاحات – ليتعرفوا على مواقع الخطأ التي سببت لهم الفشل الذريع في جهادهم ضد الاستعمار، فانتبهوا ورأوا ضرورة تغيير سياستهم النضالية، بالالتزام بالوحدة الوطنية بدل الإقليمية الضيقة، بغية توحيد صفوف المسلمين، وقد سميت هذه الخطوة المباركة بـ«حركة الإصلاح الإسلامية» Gerakan Pembaharuan Islam التي أدت إلى ظهور النشاط النسوي الإسلامي في مجال الدعوة الإسلامية والدراسات الإسلامية بصفة خاصة، وفي المجالات الأخرى بصفة عامة، وقد تناول هذا الموضوع كتاب «حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا» كما سيتضح فيما يأتي.

وإضافة إلى ذلك فإن هناك عاملا آخر وهو عامل استعماري، حيث إن الاستعمار الهولندي قد غيّر سياسته في هذا الطور نفسه بتطبيق ما يسمى بـ«السياسة الأخلاقية» Politik Etik طبقا للمصطلح الاستعماري.

وفيما يلي حديث عن هذين الحافزين، تمهيدا للحديث عن النشأة الحقيقية لنشاط المرأة الإسلامي في القطر الإندونيسي؛ ذلك أن معرفة الأحداث تستلزم تتبع الفترة السابقة والملابسة لها.

العامل الديني الإصلاحية

كانت المؤسسات التعليمية الإسلامية قبل ظهور «حركة الإصلاح الإسلامية» ذات طابع تقليدي اعتمد على نظام الحلقات، وهو النظام الذي انتشر في الماضي في العالم الإسلامي، ولم يكن هناك اتحاد أو جهة تجمع العمل الإسلامي

بالأرخبيل، فكانت كل مؤسسة تحت إشراف عالم أو شيخ يدبر شؤون مؤسسته وحده، ويدفع عنها أيدي العابثين²؛ ومن ثم كان جهاد مسلمي الأرخبيل ضد الاستعمار جهادا إقليميا متفرقا أدى في معظمه إلى فشل نضالهم وذهاب ريحهم .

ومن جهة أخرى، فإن التعاليم الإسلامية المطبقة في البلاد في ذلك الوقت قد علقَتْ بها الرواسب الهندوكية والبوذية، بالإضافة إلى الإسرانيليات والعادات والتقاليد التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، وقد كان للاستعمار دور كبير في ترسيخ هذه الأشياء، وذلك بتحريضه على إبقائها وإثرائها، عن طريق الرفع من دعائها وأقطابها، وعن طريق السعي إلى تداول المطبوع حولها.³

ذلك على المستوى الوطني أو الداخلي، أما على المستوى الخارجي فإن مسلمي المنطقة – وهم في كفاحهم ضد الاستعمار – كانوا يتابعون عن كثب ما حدث في العالم الإسلامي من مستجدات وتطورات،⁴ وخاصة ما جرى بمصر والحجاز؛ لدرجة أن بعض القادة الإصلاحيين الإندونيسيين كانوا على اتصال مباشر بمن عاصروهم من علماء هذين القطرين وزعمائهما المناضلين.

وبتضافر العاملين الداخلي والخارجي قامت حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، وقد انصبت مساعيها المشكورة على المؤسسات التعليمية الاجتماعية الخاصة، والأحزاب السياسية .

أما العمل الأول أي إنشاء المؤسسات التعليمية الاجتماعية الخاصة، فإن الإخوة العرب المهاجرين في إندونيسيا هم الذين كان لهم فضل الأسبقية في هذا الميدان، وذلك بتأسيسهم «الجمعية الخيرية»⁵ Jami'ah Khairiyah سنة 1901م في جاكرتا Jakarta ويدعى هؤلاء العرب الأشراف والأسياذ؛ لادعائهم الانتساب

² انظر: المحمدية والنهضة الإسلامية بإندونيسيا، ص 14.

³ انظر: ثمانون عاما من نضال المرأة الإندونيسية بعد كارتيبي ص 176 وما بعدها.

⁴ انظر: تاريخ الإسلام بإندونيسيا: النشأة والتطور، ص 585.

⁵ انظر: حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص 37.

إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانوا من أثرياء البلد الذين استطاعوا أن يأتوا بأعضاء هيئة التدريس للجمعية الخيرية من البلدان العربية، وكان الشيخ الفاضل / أحمد السوركتي الأنصاري السوداني (1874-1943م) كبير أساتذة هذه الجمعية، وقد سبق له أن أقام بالحجاز ردحا من الزمان للتعلم والتعليم.

الشيخ أحمد السوركتي

هو الشيخ أحمد بن محمد السوركتي الأنصاري الخزرجي، ولد بقرية تدعى أرقو بـ«دنقلة» في السودان سنة 1292هـ / 1874م، وينحدر نسبه من جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي الجليل، ذهب السوركتي إلى مكة المكرمة وهو في الثانية والعشرين من عمره، ثم توجه إلى المدينة المنورة، وقرأ بها على عدد من العلماء فنونا مختلفة، **وممن قرأ عليه هذا العالم الجليل** الشيخ صالح حمدان المغربي، والشيخ عمر حمدان المغربي، والشيخ محمد الخياري المغربي، والشيخ أحمد البرزنجي، ثم واصل السوركتي التحصيل العلمي بالحرم المكي، وقرأ على الشيخ شعيب بن موسى المغربي، والشيخ محمّد بن يوسف الخياط (ت 1334هـ / 1915م) رحمهم الله جميعا برحمته الواسعة، ونفعنا والمسلمين بعلومهم.

وقد حدث بين الشيخ السوركتي وبين زعماء الجمعية الخيرية اختلاف في وجهة النظر حول مكانة الشريف والشريفة، فالشيخ يرى أن المسلمين تتكافأ دماؤهم، كما ورد في الحديث النبوي،⁶ والزعماء يقولون بأن الشريف والشريفة لا يكون غيرهم كفؤا لهما.

وقد أدى ذلك إلى تأسيس «جمعية الإرشاد الإسلامية»⁷ Jamiah Irsyad Islamiyah على جهود الإخوة العرب الذين لم ينحدروا من آل البيت، حيث انضم

⁶ انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث 6: 32.

⁷ انظر: الإرشاد ص10؛ وحركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق، ص 71 وما بعدها.

الشيخ السوركتي إلى هذه الأخيرة، وانسحب من الجمعية الخيرية، وكان ذلك سنة 1914م، علماً بأن الإدارة المركزية للجمعيتين كانت بمدينة جاكرتا.

وقد كتب لجمعية الإرشاد الإسلامية تطور وتقدم؛ حيث لم تقتصر على أبناء العرب وحدهم؛ فقد تخرج فيها قادة حركة الإصلاح الإسلامية،⁸ فأصبحت أقوى تأثيراً وأوسع نطاقاً إذا قورنت بالجمعية الخيرية، كما أصبحت لها فروع عديدة وأقسام مختلفة، من بينهما القسم النسوي الذي ينقسم بدوره إلى «مسلمات الإرشاد» Muslimat Irsyad و«فتيات الإرشاد» و«طالبات الإرشاد»، على الرغم من تأخر إنشاء هذه الأقسام نسبياً، حيث كان ذلك سنة 1930م، كما سيأتي مفصلاً.

وكان الشيخ السوركتي من أوائل الذين ينادون بالجوع إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وبتنقية العقيدة الإسلامية وتعاليم الدين مما علق بها من أدران الشرك والبدع وما في معناها.

وتأسيساً على ذلك فإن الإخوة العرب كانوا في مقدمة من أنشأ في البلاد جمعية إسلامية منظمة تنظيمياً عسرياً،⁹ الأمر الذي فتح لغيرهم الطريق، فتابع بعد ذلك قيام الهيئات الإسلامية في أمكنة متباعدة وأزمنة متقاربة، وتعد «الجمعية المحمدية» Jamiyah Muhammadiyah من أهم تلك الجمعيات أو الهيئات.

الجمعية المحمدية

وهي هيئة إسلامية تعمل في حقل الدعوة الإسلامية أسسها فضيلة الشيخ الحاج أحمد دحلان K.H. Ahmad Dahlan في الثامن من ذي الحجة عام 1330هـ /

⁸ انظر: الإرشاد، مصدر سابق، ص 21 وما بعدها؛ وحركة الإصلاح الإسلامية من جمال الدين الأفغاني إلى أحمد دحلان، ص

71.

⁹ انظر: حركة الإصلاح الإسلامية باندونيسيا، مصدر سابق، ص 37.

1912م بمدينة «جوكجاكرتا» Jogjakarta بجاوا السطى.¹⁰ وسنأتي ترجمة الشيخ الفاضل فيما بعد.

وقد كان الشيخ من العلماء الذين كانوا يلقون المحاضرات والدروس الإسلامية في المساجد والمصليات، وهو من أبرز علماء جاوا Jawa في عصره، وقد ساعده في أداء رسالة الدعوة كونه إماماً بأكبر جوامع جوكجاكرتا يدعى جامع السلطان Mesjid Sultan الذي يشرف عليه سلطان جوكجاكرتا، وهي سلطنة صغيرة بوسط جاوا.

وتعمل الجمعية المحمدية – مثلما تعمل جمعية الإرشاد السالفة الذكر- على تنقية التعاليم الإسلامية من العادات والتقاليد والأفكار الدخيلة حتى تتفق هذا التعاليم مع ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

واستخدمت الجمعية المحمدية في القيام بأعمالها الدعوية عدة وسائل، أهمها «مجالس التعليم» Majelis Taklim، والحلقات الدراسية، والمؤسسات التعليمية المختلفة، والخدمات الاجتماعية، ووسائل الإعلام.

وقد نشأت هذه الجمعية وترعرعت بجزية جاوا، ثم انتشرت فروعها في بقية منطقتي البلاد في أوقات لاحقة، وبلغ عدد فروعها ما يربو عن ألف فرع؛ فليس من المبالغة أن يقال إن الجمعية المحمدية هي أكبر جمعية إسلامية خيرية في العالم،¹¹ وقال أحد العلماء الذي زاولوا الدعوة والإرشاد في المنطقة إن هذه الجمعية هي وزارة للمعارف كاملة،¹² بل إن عنايتها تشمل الشؤون الدينية والاجتماعية والصحية أيضاً.

¹⁰ انظر لحمة سريعة عن الجمعية المحمدية بإندونيسيا، القيادة المركزية للجمعية المحمدية (جاكرتا: القيادة المركزية للجمعية،

لات) ص3.

¹¹ انظر: إندونيسيا، محمود شاعر (بيروت: دار العلمية ط1 / 1971م) ص31.

¹² انظر: الإسلام في أرخبيل الملايو ومنهج الدعوة إليه... مصدر سابق: ص180.

وتسهيلا لتدبير شؤون الجمعية كونت عدة تنظيمات تابعة لها تتمتع بالاستقلال الذاتي، وتشارك الجنسين في مختلف مراحل العمر، وفي ميادين العمل المتخلفة، وهذه والتنظيمات هي:

المحمدية الأم و«العائشية» ، وناشئة العائشية، وشباب المحمدية، تلاميذ المحمدية، وطلاب المحمدية، وهيئة تدريس المحمدية، والخبراء المحمديون، والفنانون المحمديون، والفلاحون المحمديون، والعمال المحمديون، وغير ذلك.

وبقيام جمعية «العائشية» Aisyiyah سنة 1917م، فقد ظهرت أولى جمعية لمسلمات إندونيسيا، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل في الحلقة التالية بإذن الله.

ومن حيث الموقع، فقد كانت بداية نشاط كل من الجمعية الخيرية Jamiah Khair والجمعية المحمدية Jamiyah Muhammadiyah في جزيرة جاوا Jawa ، وأما في جزيرة سومطرة Sumatera التي تلي جاوا في الأهمية، ففيها منطقتان معروفتان بشدة تمسك أهلها بالإسلام هما: منطقة «أتشيه» Aceh السالفة الذكر، والتي تقع في أقصى الطرف الشمالي لجزيرة «سومطرة» ومنطقة «مينانكاباو»¹³ Minangkabau ؛ فإذا كانت الأولى قد امتازت بكونها أول منطقة في البلاد دخلت في كنف الإسلام، وآخر ما سقطت في قبضة الاستعمار، فقد عدت الثانية منبعاً بحركة النهضة الإسلامية؛ لكثرة العلماء والزعماء فيها، لدرجة أن بعض المؤرخين في البلاد ذهب إلى القول بأن كل حركة النهضة الإسلامية في الأرخبيل قد استوحت فكرتها من هذه المنطقة (Minangkabau) التاريخية العظيمة، بحمل الفكرة الإصلاحية من قبل أبناء أهلها إلى مختلف المناطق؛ لأنهم كثيرو التجوال ومحبو الترحال، وبمجيئ الطلاب من مختلف الأرجل إلى هذه المنطقة لينهلوا من ينابيع العلوم في مؤسساتها التعليمية، ثم كانوا ينقلون أفكار أساتذتهم الحركيين إلى أنحاء البلاد، كما يعد من عوامل

¹³ انظر: حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا. مصدر سابق: 37، 330.

النهضة الإسلامية في الأرخبيل تأثير وسائل الإعلام التي كان يشرف عليها الدعاة والكتاب من هذه المنطقة العظيمة المعروفة بمناظرها الطبيعية الخلابة. وهذه المنطقة تقع في غرب الجزيرة، وهي تطل على المحيط الهندي غربا.

وإذا كان الإخوة العرب – كما تقدم – هم أول من بادر بتأسيس منظمة إسلامية حديثة في البلاد من أجل القيام بالأعمال الإصلاحية الدينية، فإن جذور فكرة الإصلاح بأرض مينانكاباو Minangkabau كان أسبق من ذلك بكثير، حيث يرجع تاريخ هذه الفكرة إلى القرن التاسع عشر، وذلك بعودة جماعة من علماء هذه المنطقة من الحجاز، وهم قد عُرفوا بـ«البدرين» Kaum Paderi ؛ وقيل إن الكلمة ترجع إلى غزوة البدر الكبرى؛ لأن البدرين كانوا يبلمون بلاء حسنا في مقاومة الاستعمار الهولندي،¹⁴ كما لقبوا بـ«الطائفة البيضاء»، وكانوا يحاولون تطبيق الشريعة الإسلامية النقية الخالية من الشوائب الرواسب عن طريق القوة والعنف؛ الأمر الذي أغضب أنصار العادات والتقاليد من الذين اتبعوا ما ورثوه عن آبائهم بحذافيره على غير هدى من الله ، وقد لقب أنصار العادات بالمقابل بـ«الطائفة السوداء». ومن بين هذه العادات والتقاليد السيئة: شرب الخمر، والانتساب إلى الأم ، وحرمان الولد من التركة ، وتوريث البنت إياها، وحث النساء على السفور والاختلاط، والعياذ بالله.

وقد أدى ذلك إلى حدوث الصراع بين هذين الفريقين، وفي نهاية الأمر رأت الطائفة السوداء أن لا قبل لهم في مواجهة الطائفة البيضاء، التي تحارب بلا هوادة، فاستنجدوا بالاستعمار الهولندي، والذي كان يتحين هذه الفرصة؛ ليصطادوا في الماء العكر؛ وقد جرّ ذلك إلى قيام سلسلة من الحروب بين البدرين والهولنديين المستعمرين .

¹⁴ انظر: التربية الإسلامية بإندونيسيا: الدفاع والتطور (إند:161) ص 168-169.

وعلى الرغم مما أحرزه الاستعمار من تقدم في الوسائل الحربية، فما كان ليستطيع مواجهة البدريين في وقت قصير، حيث دامت الحروب المعروفة بالحروب البدرية (Perang Paderi) ست عشرة سنة (1821 - 1837م)، وانتهت بتغلب الاستعمار على الطائفة البيضاء بعد لجوئه إلى أسلوب الخداع والمكر الميكافيليين.

فشلت مساعي البدريين الدعوية، وحينما جاء أحفادهم في بداية القرن الماضي، نادوا بالفكرة الإصلاحية مرة أخرى، مكيفين أساليبهم بما يتلاءم وظروف ذلك الوقت، معتبرين بما فعله السابقون؛ فقام دعاة الإصلاح الجدد بإرشاد الناس عبر الحلقات الدراسية، والخطب الدينية، وإصدار المجلات، تمهيدا لإنشاء المدارس والمعاهد الدينية بصورة أكثر تنظيما. وإن جل رجال هذا الطور سبق لهم أن درسوا بالحجاز أو مصر، والقادمون من الحجاز كانوا تلاميذ العالم الجليل الشيخ أحمد خطيب (1855-1916م) الذي سيأتي الحديث عنه.

هذا، ويعد ما يسمى بـ«جامع جمباتن بيسي» Surau Jembatan Besi أي «جامع الجسر الحديدي» أول مركز لهؤلاء الإصلاحيين، وقد غير اسم هذا الجامع أخير بـ«مسجد الزعماء» Mesjid Zuama ؛ فقد تخرج في هذا الجامع الزعماء والعلماء الحديديون لا يعرفون التراجع في سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل. وفي مقدمة هؤلاء الزعماء الداعية الأستاذ همكا (Hamka) الذي سيأتي الحديث عنه، بشيء من التفصيل.

وقد استغرقت هذه الأعمال التمهيدية الإسلامية ثلاث سنوات تقريبا، حيث أنشئ في مدينة بادانج باندانج Padang Panjang غربي سومطرة كل من مدرسة طوالب Sumatera Tawalib، المدرسة الدينية Diniyah School التي عُدَّت أولى مدرسة دينية احتضنت البنين والبنات، وكان تأسيس هذه الأخيرة سنة 1915م

على يد الأستاذ الجليل «زين الدين لاباي اليونسي» Zianuddin Labai El-Yunusi (رحمه الله). و«مدرسة طوالب» هي أقدم المدارس الدينية وأهما بالمنطقة، وكانت بداية الدراسة فيها في الجامع المذكور آنفاً، وذلك سنة 1911م. أما تأسيس هذه المدرسة رسمياً فكان في سنة 1918م، ثم فيما بعد تطورت إلى المستوى الجامعي سنة 1975م.¹⁵

وكان (لاباي Labai) المحرك الأول لتأسيس المدارس الدينية الحديثة بغربي سومطرة، وكان لمدرسته وحدها خمسة عشر فرعاً بالمنطقة سنة 1922م. وقد سبق هذا الداعية «مدرسة طوالب» في استخدام المناهج الحديثة في التعليم.¹⁶

وقد كانت من بين الطالبات اللائي يدرسن بمدرسة هذا العالم الجليل شقيقته «رحمة اليونسية» Rahmah El-Yunusiyah؛ فقد قال عنها العلماء بأنها رائدة التربية الإسلامية للبنات، وذلك لبنائها أول مدرسة دينية للبنات وهي ما تزال طالبة بمدرسة أخيها الشقيق لاباي Labai، وقد عرف مدرسة هذه الرائدة باسم «المدرسة الدينية للبنات» Diniyah Puteri School تأسست – كما سيأتي الحديث عنها – سنة 1923م.

*** **

وأما العمل الثاني – وهو تأسيس الحركات والأحزاب السياسية – فقد كان إنشاء ما يسمى باتحاد «الأخلاق الفاضلة» Budi Utomo في 1908/05/20م أول بادرة في هذا المجال.

وكان الأعضاء المؤسسون لهذا الاتحاد من طلبة معهد العلوم الطبية بجاكرتا، وقد كانت مقاومة الاستعمار من أبرز أهدافه، وشملت عضويته معظم مناطق

¹⁵ انظر: حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص 52، 55؛ والتربية الإسلامية بإندونيسيا: الدفاع التطور، مصدر سابق: ص 234.

¹⁶ انظر: ذكرى خمس وخمسين سنة للمعاهد الدينية للبنات ص 298؛ وحركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص 55، 62.

البلاد، ومن ثم جعل تاريخ تأسيسه «يوم النهضة الوطنية» (Hari Kebangkitan Nasional).

وقد ظهرت بعد تأسيس الأخلاق الفاضلة الحركات والأحزاب السياسية، أهمها «الشركة التجارية الإسلامية» Syarikat Islam أي الجمعية التجارية الإسلامية؛ لأن كلمة الشركة العربية الأصل استعملت في اللغة الإندونيسية في ذلك الوقت بمعنى التنظيم، وقد تأسست هذه الجمعية في 1911/11/11م بجزية جاوا برئاسة الزعيم الجليل السيد سامنهودي¹⁷ Samanhudi.

وكانت هذه الجمعية تسعى في بادئ الأمر إلى إصلاح الوضع الاقتصادي للتجار المسلمين؛ لأن النشاط التجاري في البلاد في ذلك الوقت وللأسف كان تحت سيطرة الصينيين، وأخيراً حدث بينهم وبين المسلمين توتر في العلاقات؛ فجعل الهولنديون المستعمرون يوقفون نشاطات هذه الجمعية.

وعلى إثر ذلك أي في عام 1912م أنشأ المسلمون «الشركة الإسلامية» Syarikat Islam بزعامة السيد الحاج عمر سعيد تشوكرو أمينوتو H.Omar Said Cokroaminoto

وقد كانت هذه الجمعية اقتصادية الاسم سياسية الهدف وإسلامية المنطلق، وقد تحولت فيما بعد إلى حزب سياسي فعال يدعى «حزب الشركة الإسلامية الإندونيسية» Partai Syarikat Islam Indonesia.

وتتلمذ على يد هذا الزعيم البارز الذي يعد من أبرز أقطاب هذا الحزب الكثير من الزعماء الإندونيسيين، ومن بينهم الرئيس الأول سوكارنو¹⁸ (Sukarno)، وقد

¹⁷ نفس المصدر: ص115.

¹⁸ انظر: الإسلام في إندونيسيا: النشأة والتطور، مصدر سابق: ص 589.

شارك الزعيم تشوكروأمينوتو في المؤتمر الإسلامية الأول المنعقد سنة 1926م بكمة المكرمة.¹⁹

وفي سنة 1927م أسس «الحزب الوطني الإندونيسي» Partai Nasional Indonesia برئاسة سوكارنو Sukarno الذي أصبح فيما بعد أول رئيس لإندونيسيا بعد الاستقلال، كما أسس «حزب اتحاد مسلمي إندونيسيا» Partai Pesatuan Islam Indonesia سنة 1929م، والذي كان نشاطه في البداية ينحصر في المساعي التعليمية، ثم جمع بيها وبين السياسة والاقتصاد أيضا، وكان السيدان «إلياس يعقوب» و«مختار لطفي» اللذان سبق لهما أن درس بمصر من كبار زعماء هذا الحزب.²⁰

هذا، وقد كان للزعيمات المسلمات إسهام كبير في النهوض بالأعمال السياسية داخل المؤسسات السياسية في هذه المرحلة المبكرة.²¹

وقد استخدم الدعاة المسلمون وسائل الإعلام لبيت أفكارهم الإصلاحية، ومن بين هذه الوسائل ما يلي من الصحف والمجلات:

الملاحظات	تأسست	الاسم	
نصف شهرية	1906	Al-Imam	الإمام
نصف شهرية	1911	Al-Munir	المنير
شهرية	1916	Al-Islam	الإسلام
يومية	1916	Neraca (الميزان)	نراتشا
نصف شهرية	1918	Munir Al-Manar	منير المنار

¹⁹ انظر: حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص 243؛ وقسمات العالم الإسلامي، مصطفى مؤمن (بيروت: دار الفتح ط1/1974م) ص 271.

²⁰ حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص 170 وما بعدها.

²¹ نفس المصدر، ص 174.

دنيا الإسلام	Dunia Islam	1922	نصف شهرية
بننانج إسلام	Bintang Islam (نجم الإسلام)	1923	نصف شهرية
بنديرا إسلام	Bendera Islam (لواء الإسلام)	1924	يومية
هنديا بارو	Hindia Baru (الهند الجديدة)	1924	يومية
هيت ليكت	Het Licht (النور)	1925	شهرية
بننانج تيمور	Bintang Timur (نجم الشرق)	1926	يومية
فجر آسيا	Fajar Asia	1927	يومية
أوتوسان هنديا	Utusan Hindia (البعث الهندي)	1928	يومية
بمبيلا إسلام	Pembela Islam (حماة الإسلام)	1929	شهرية ²²

ومن وسائل الإعلام التي سخرت لنشر الأفكار الإصلاحية في الفترة المذكورة ما يلي من المجلات: البيان (1919م)، والإيمان (1919م)، والإيمان (1920م)، والبشير (1920م)، والإتقان (1920م)، دنيا آخرة (1923م).²³ وكان إقبال الناس على وسائل الإعلام هذه عظيما، وخاصة في غربي سومطرة، وسائر مناطق إندونيسيا، كما كان لمجلة «المنير» قراء في أنحاء ماليزيا، ونظرا لأن الصحف والمجلات كتب باللغة الملايوية، فإن بعض زعماء حركة الإصلاح الإسلامية قد ترجموا أهم مقالاتها إلى اللغة الجاوية.²⁴

العامل الاستعماري

²² حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص 345 وما بعدها.

²³ انظر: الإعلام وتصميم المجتمع (207 : 4) ص 55-56.

²⁴ نفس المصدر، ص 56.

وبعد سقوط أتشيه Aceh المتقدم ذكرها طبق الاستعمار الهولندي ما يسمى بـ«السياسة الأخلاقية» Politik Etik القاضية بفتح باب التعلم لأبناء البلاد بصورة أكثر، وفتح باب تأسيس الاتحادات والجمعيات الأهلية المختلفة، وكل ذلك بالشروط التي أرّضت الاستعمار؛ إذ المستعمرون رأوا في ذلك الوقت أن لا جدوى لمقاومة كفاح الشعب الإندونيسي عن طريق السلاح، فحاولوا التقرب إليه بهذه السياسة الجديدة؛ توصلا إلى تغريب المواطنين بصورة مركزة، بعد ما خابت مساعي الاستعمار الصليبي في تنصير مسلمي البلاد. و عند تطبيق هذه السياسة كانت إندونيسيا بإيدي الهولنديين الذين كانوا يؤيدون الحركة التنصيرية تأييدا صريحا.²⁵

ومن دواعي تنفيذ هذا الأسلوب الجديد أن الاستعمار في ذلك الوقت قد أحس بخطورة مصير مستعمراته إذا اندلعت الحرب العالمية واستمر في عدا مع أبناء البلاد.

ومما زاد شعور الهولنديين بخطورة الوضع في ذلك الوقت تفوق اليابان العسكري في الشرقين الأقصى والأدنى، وقد وعدت اليابان مرارا بمساعدة الإندونيسيين على طرد المستعمرين الأوربيين من كل شبر من الأراضي الإندونيسية مدعية أن «آسيا للأسياويين»؛ فلا شك أن من طبيعة الطغاة أن ينادوا بالحرية ليندوها، ويتحدثون باسم الشعب ليستبدوه، ويدافعوا عن الفقير لئلا يصبح غنيا، ويقاموا الطغيان ليرفضوا طغيانا أشد وأقسى.²⁶

ومن دواعي تطبيق السياسة الأخلاقية هذه وفق المنظور الاستعماري أن هولندا قد ابتزت ملايين كثيرة من الجلدات²⁷ (Gulden) من إندونيسيا بسبب استنزاف الهولنديين ثروات إندونيسيا بوسائل متنوعة، وفي مقدماتها ما يسمى

²⁵ انظر: حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص 187.

²⁶ هكذا علمتني الحياة، مصطفى السباعي (دمشق: مجلة حضارة الإسلام، العدد السادس، السنة الثالثة، شعبان 1382هـ / يناير

1963م) ص 65.

²⁷ العملة الهولندية.

بـ«الإنتاج الإجمالي» (Kultur Stelsel) الذي فرضه الاستعمار على المواطنين في القرن التاسع عشر؛ ومن ثم فقد رأى الهولنديون أن الوقت قد حان لرد ما قام به الشعب المستعمر أمام الإنتاج الإجمالي الذي جر لهم ثروات هائلة. وقد قام الاستعمار من أجل هذا الغرض بإصلاح شؤون مستعمراته في مجالات: التربية والسياسة والاجتماع. هذا وقد فرضه الاستعمار الهولندي لأول مرة هذه السياسة سنة 1830م.

بل إن أحد أعضاء مجلس النواب الهولنديين قد صرح بذلك قائلاً: «إن الأمر لم يتغير؛ إذ الاستعمار في هذه الفترة يستخدم بصورة أوضح الإنجيل والسياسة الداهية»²⁸

ولا يعنى ما سبق أن الهولنديين - وهم مستعمرون - قد فتحوا أبواب الإصلاح على مصارعها، فقد كانوا يرون أن مصالحهم هي فوق كل شيء، ومصالح مستعمراتهم كانت في الترتيب الثاني، فإذا تعارض الصالح والأصلح - وذلك ما حدث كثيراً - قدم الأصلح لا محالة؛ فالسياسة الأخلاقية هذه هي أخلاقية وفق المنظور الاستعماري²⁹.

ومهما يكن من أمر فإن هذه السياسة قد أوجدت دفعا إيجابيا لمسيرة كفاح الشعب الإندونيسي في مقاومة الاستعمار بإجماع المؤرخين الإندونيسيين أنفسهم.

فقد تغيرت صفحات تاريخ إندونيسيا المناضلة بتضافر العاملين السابقين، فأصبح الإندونيسيون يخوضون المعركة الفكرية لمواجهة الاستعمار عبر مؤسساتهم التعليمية والسياسية والاجتماعية.

²⁸ *Parlementaire Geschiednis van Nederlandsch Indie*, H. Idema (Den Haag: M. Nijhoff 1924) p176; *Dutch Colonial Policy in Indonesia*, op. cit. p. 56;

وتاريخ نصف قرن من نهضة المرأة الإندونيسية (إند: 195) ص 2 وما بعدها.

²⁹ *Dutch Colonial Policy in Indonesia*, Justus Maria Von Der Kroet (USA: Columbia Univ. 1953) p. 1; *Nationalism Revolution in Indonesia*, George McT Kahin (Ithaca, N.Y: Cornel Univ. Press, 1952) p. 21.

وما كان لمسلمات إندونيسيا أن يبقين مكتوفات الأيدي أمام هذا السيل العرم من النهضة الفكرية ، وقد أسهمن قبل ذلك في الجهاد المسلح سندا لإخوتهن الرجال.³⁰

ويتنقسم مشاركة المسلمات في هذا المجال إلى قسمين:

- أولا : العمل داخل الأقسام النسوية التابعة للهيئات والجمعيات الإسلامية التي يديرها الرجال.

- ثانيا : انفراد عمل المسلمات داخل المؤسسات النسائية الإسلامية التي أنشأها بأنفسهن.

وفيما يلي طلائع مؤسسات المسلمات الإندونيسية التي أنشئت في الربع الأول من القرن العشرين:

بالإندونيسية	تأسست	بالعربية
Putri Merdeka	1912	النساء الحرائر
Kartini Fond	1912	مؤسسة كارتيني
Keutamaan Isteri	1913	الزوجات الفاضلات
Kerajinan Amai Setia	1914	أنشطة الأمهات الوفيات
Keutamaan Isteri	1915	الزوجات الفاضلات
Aisyiyah	1917	العائشية
Syarikat Siti Fatimah	1918	جمعية ستي فاطمة
Syarikat Kaum Ibu Sumatera	1920	جمعية سومطرة للسيدات
Nahdatul Fatayat	1920	نهضة الفتاة
Wanita Utomo	1921	النساء الفاضلات

³⁰ انظر: دور المسلمات في إندونيسيا في تاريخ نصف قرن من نهضة المرأة الإندونيسية (إند: 195) ص 2 وما بعدها.

Wanita Taman Siswa	1922	نساء روضة الطلاب
Diniyah School Puteri	1923	المعاهد الدينية للبنات
Jong Islamieten Bond ³¹	1925	منظمة الفتيات المسلمات

وبالإضافة إلى طلائع تلك المؤسسات التعليمية المختلفة التي تعنى بأحوال المسلمت وغيرهن في الأراضي الإندونيسية، فقد أُسِّت وأُصدِرَت في الفترة المذكورة أيضا ما يلي من مختلف الصحف والمجلات:

بالإندونيسية	تأسست	بالعربية
Putri Hindia	1919	بنات الهند
Sunting Melayu	1912	زهرة الملايو
Wanita Sworo	1913	صوت المرأة
Putri Madeka	1914	البنات الحرائر
Penuntun Isteri	1918	مرشد النساء
Suara Perempuan	1918	صوت النساء
Perempuan Bergerak	1918	نهضة النساء
Suara 'Aisyiyah	1925	صوت العائشية
Isteri Merdeka	1925	النساء الحرائر ³²

وقد أدى كل ما تقدم من الهيئات والمنظمات، والوسائل الإعلامية بطريقة أو أخرى دورا مهما في الحركة الفكرية للنساء في الأرخبيل في هذا الطور من الجهاد الفكري ضد الاستعمار.

³¹ انظر: نفس المصدر ، ص15.

³² انظر: نفس المصدر، ص 18.

فقد عُلمَ مما سبق أن بداية النشاط النسائي كانت مسبقة بأعمال الرجال الإسلامية، وأن النشاط النسائية في طورها التمهيدي هذا لم تكن كلها منحصرة في الدعوة الإسلامية بمفهومها الضيق، بل إن معظمها كان نضالا وطنيا وكفاحا تحرريا من العادات والتقاليد المتنافية مع التعاليم الإسلامية الغراء، وقد سعى الاستعمار إلى إبقاء تلك العادات والتقاليد وإلى ترسيخها في المجتمع الإندونيسي؛ تمكينا من السيطرة عليه وتمديدا لنهب ثرواته.

وإذا نظرنا إلى المفهوم الشمولي للدعوة، والذي ينضوى تحته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن مساعي النساء الإندونيسيات في مرحلة الطفولة هذه، قد اندرج تحت النهي عن المنكر؛ فقد كان ولا يزال الاستعمار بألوانه المختلفة ورواسبه العديدة من أكبر المنكرات العائقة لطريق مختلف العمل الإسلامي.

وعلى الرغم من أن هؤلاء الأمهات من المؤسسات النسائية لم تستمر جليا مدة طويلة؛ بكونها قامت بسبب معالجة الظروف الطارئة الوقتية؛ فإنها قد أعطت دفعا إيجابيا لما أنشئ في أوقات لاحقة من مختلف هيئات نسائية أخرى ظهرت وفق الظروف والأوضاع التي لا يستها.

علما بأن بعض تلك الإنجازات الإسلامية النسائية الرائدة، ما تزال قائمة حتى الآن، بل إن بعضها ظلت تتطور وتتقدم على مر السنين، توتى ثمارها كل بفضل قوة أرضية نضالها وإخلاص القائمات على أمورها. وتعد منظمة «العائشية Aisyiyah» و«المعاهد الدينية للبنات Diniyah Puteri» من عداد هذا النوع، فهما أكثر المؤسسات الإسلامية النسائية امتيازاً ماضيا وحاضرا؛ أتمتعهما بالمناعة والقوة الجاذبية الخاصة، الأمر الذي جعلتا تسيران قدما، ويتركز الحديث فيما يلي في هاتين المؤسستين الأولى قد نشأت بجاوا والأخرى بسومطرة.

وبعد، فهذه البوادر من حركة الدعوة الإصلاحية التي ساهمت فيها المسلمات بإندونيسيا، وستأتي بعدها الجهود الفردية من صفوف المسلمات المؤمنات لتليها الجهود والمساعي الجماعية بصورة أكثر فعالا وأفضل تنظيما، ولا شك أن للرجال المؤمنين العاملين بحقل الدعوة أيادي بيضاء في الدفع بحركة الدعوة النسوية نشأة وتطورا، كما سلاحظ ذلك فيما تأتي من الحلقات بإذن الله تعالى، والله الموفق.

(إلى الحلقة القادمة بعون الله)

RUJUKAN:

- 1- الإسلام في أرخبيل الملايو ومنهج الدعوة إليه، رؤوف شلبي (القاهرة: مطبعة سعادة ط2 1981م).
- 2- إندونيسيا، محمود شاكر (بيروت: الدار العلمية ط1 / 1971م) .
- 3- قسماات العالم الإسلامي، مصطفى مؤمن (بيروت: دار الفتح ط1/1974م).
- 4- لحمة سريعة عن الجمعية المحمدية بإندونيسيا، القيادة المركزية للجمعية المحمدية (جاكرتا: القيادة المركزية للجمعية، لات).
- 5- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، مجموعة من المستشرقين (ليدان : مطابع بريل 1965م).
- 6- هكذا علمتني الحياة، مصطفى السباعي (دمشق: مجلة حضارة الإسلام، العدد السادس، السنة الثالثة، شعبان 1382هـ / يناير 1963م).
- 7- *Aisyiyah Suatu Organisasi Wanita Islam di Indonesia*, B. Chris Manto A. (Jakarta :Fak. Sastera, U.I. 1985). (العائشية منظمة نسائية إسلامية بإندونيسيا).
- 8- *Aliran Pembaharuan Islam dari Jamaluddin Samapai K.H. A. Dahlan, H. Djarnawi Hadikusuma* (Jogjakarta: Penerbit Persatuan, Cet. k- 3 ND). (حركة الإصلاح الإسلامية من (جمال الدين الأفغني إلى أحمد دحلان).
- 9- *Gerakan Moderen Islam di Indonesia 1900-1942*, Deliar Noer (Jakarta : LP3ES Cet. Ke-4 1988). (حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا).
- 10- *Irsyad*, Husein Abdullah Badjeri (Jakarta : PP Al-Irsyad, 1987). (الإرشاد).
- 11- *Memperkembangkan dan mempertahankan Pendidikan Islam di Indonesia*, H.Z. Abidin Ahmad (Jakarta : Bulan Bintang Cet.Pertama 1976). (التربية الإسلامية بإندونيسيا: الدفاع والتطور).
- 12- *Muhammadiyah dan Kebangunan Islam di Indonesia*, Solichin Salam (Djakarta: N.V Mega. ND). (المحمدية والنهضة الإسلامية بإندونيسيا).
- 13- *Peringatan 55 Tahun Diniyah Puteri Padang Panjang* (Jakarta Dhalia 1978) (ذكرى 55 عاما للمعاهد الدينية للبنات بادنج بانجانج).

190 *HIKMAH, Volume 11 Nomor 1, Juni 2017, h. 171-190*

- 14- *Perjuangan Wanita Indonesia 10 Windu Setelah Kartini (1904-1984)* Departemen Penerangan RI 1984. (ثمانون عاما من نضال المرأة الإندونيسية بعد كارتيني).
- 15- *Sejarah Setengah Abad Pergerakan Islam di Indonesia* Kowani (Jakarta : Balai Pustaka 1978). (نصف القرن من تاريخ نهضة المرأة الإندونيسية).
- 16- *Serial Media Dakwah*, No. 72 Juni 1980. *Catatan Dari Seminar Peradaban Islam di Malaysia*, Ramlan Mardjoned. (ملاحظات عن ندوة عقدت في ماليزيا حول الحضارات الإسلامية).
- 17- Panji Masyarakat. No 639, 21-28 Feb. 1990, *Pers dan Polarisasi Masyarakat*, Kolom Artikel. (الإعلام وتصميم المجتمع).
- 18- *Parlementaire Geschiednis van Nederlandsch Indie*, H. Idema (Den Haag: M. Nijhoff 1924).
- 19- *Dutch Colonial Policy in Indonesia*, Justus Maria Von Der Kroet (USA: Columbia Univ. 1953).
- 20- *Nationalism Revolution in Indonesia*, George McT Kahin (Ithaca, N.Y: Cornel Univ. Press, 1952).
- 21- *Parlementaire Geschiednis van Nederlandsch Indie*, H. Idema (Den Haag: M. Nijhoff 1924).